Journal Of the Iraqia University (71-4) September (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

مقومات الحوار العقائدي في القران الكريم وأساليب نجاحه (دراسة تحليلية وتفسيرية)

احمد كطيفه اغجيري العجلان
اشراف الأستاذ الدكتور الشيخ هاشم أبو خمسين[1]
جامعة المصطفى العالمية كلية العلوم والمعارف

المستخلص

ان عنوان البحث مقومات الحوار العقائدي في القران الكريم وأساليب نجاحة (دراسة تحليلية وتفسيرية) يدخل ضمن نطاق البحوث التفسيرية الاجتماعية المعاصرة . وقد وجهنا القران الكريم الى ان الحوار هو الأسلوب الذي يجب على المسلمين اتباعه عند بحث القضايا والمشكلات ، ومن مستلزمات الحوار الاعتراف بالآخر وبحقة في الوجود وبحقة في التعبير عن رأيه وبحقة في الاختلاف مع الاخر . قد يقع بين مختلف مكونات المجتمع المدني وتوجهاته الاجتماعية والسياسية ، ومنها تنزل الى مستوى الاسرة ، فيُرى اثرها فيما بين الزوج والزوجة وما بين الزوجين والأولاد فالحوار ممر استراتيجي لحل الازمات الكبيرة والصغيرة ، لذا فقد استعمل القران الكريم منهج الحوار ليعلمنا استعماله في جميع مجالات حياتنامن اجل الوصول الى الحق بقناعة عقلية ، وارتياح نفسي ، واطمئنان وجداني ، لكي يعيش المجتمع الإنساني في اخاء وتواصل ، وامن وامان وحب وسلام . يعتبر الحوار من اهم وادق المواضيع في تاريخ الحضارة الإسلامية كونه يتناول موضوعا يتعلق بالرأي والرأي الاخر بين المسلمين انفسهم ، وبينهم وبين الاخرين . ان الهدف من البحث هو بيان الأساليب الحوارية في القران الكريم ، وبيان تطبيق هذه الأساليب في سورة النحل المباركة ، والخروج برؤية تؤطر العلاقة مع الاخرين وكيفية التحاور معهم . ان من اهم النتائج التي تم التوصل اليها هو ان الحوار الذي يدعو له القران الكريم لا يعني فرض القناعات على الاخرين وجبرهم على اعتناق عقيدة ما ، كما ان الحوار له أساليب دعا اليها القران الكريم من أهمها اتباع أسلوب التعامل بالمثل ، والخطاب الحسن ، والجدال الاحسن ، كما ان الأساليب الحوارية التي ذكرها القران الكريم تربي روح الاخوة والمحبة ، وكذلك حب العلم والمعرفة ، لوجود فسحة من الجو المناسب لطرح كافة الآراء والأفكار واتباع الاحسن فيها**الكلمات المفتاحية : الأساليب ، مقومات الحوار ، العقائد ، القران الكريم .**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين محمد رسول الرحمة الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين.أما بعد لعل الكثير من المشاكل والصدامات الدامية التي تدفع البشرية ثمنها كان ممكناً أن تتجنب أصلاً أو يخفف أثرها أو تقل سلبياتها لو لجئ إلى الحوار واستخدمت أغراضه ووسائله. إنّ الحوار هو لغة الإسلام وقد قضى الله سبحانه أن تكون علاقته جل شأنه بمخلوقاته قائمة على أساس الحوار الإقناعي وليس على أساس القهر والإكراه ، والقرآن الكريم وهو دستور المسلمين ، ومصدر عقيدتهم وشريعتهم قد وجهنا القرآن الكريم إلى أن الحوار هو الأسلوب الذي يجب على المسلمين إتباعه عند بحث القضايا والمشكلات،ومن مستلزمات الحوار الاعتراف بالاخر وبحقه في الوجود وبحقه في التعبير عن رأيه وبحقه في الاختلاف مع الآخر. قد يقع بين مختلف مكونات المجتمع المدني وتوجهاته الاجتماعية والسياسية ، ومنها تنزل إلى مستوى الأسرة ، فيرى أثرها فيما بين الزوج والزوجة وما بين الزوجين والأولاد. فالحوار ممر استراتيجي لحل الأزمات الكبيرة والصغيرة. لذا فقد استعمل القرآن الكريم منهج الحوار ليعلمنا استعماله في جميع مجالات حياتنا من أجل الوصول إلى الحق بقناعة عقلية ، وارتياح نفسي ، واطمئنان وجداني لكي يعيش المجتمع الإنساني في إخاء وتواصل ، وأمن وأمان وحب وسلام. قد ركز آل النبوة الاطهار على مبدأ الحوار على اعتبار أن الدرس قرآني ورثوه عن جدهم رسول الرحمة صلى الله عليه واله وسلم .الحوار كلمة جميلة رقيقة ، تدل على التفاهم والتفاوض واذا رجعنا الى كتب اللغة العربية ومعاجمها فإننا نجد فيها مصطلحات تتفق في جانب من مفاهيمها ومعانيها مع مصطلح الحوار ، واذا اردنا ان نقف على مفهوم الحوار فان ذلك

يتطلب الوقوف على مفاهيم تلك المصطلحات التي لها علاقة وثيقة بالحوار واساليبه وهذا ما سنتطرق اليه في متن البحث أما الحوار في القرآن الكريم يتسم باتساع دائرته وتعدد قضاياه ، وشموله لما لا يحصى من الموضوعات. فهناك محاورات بين الخالق عظمت قدرته وبين مخلوقاته من الرسل الكرام ومن الملائكة المقربين ، بل ومن الشيطان الرجيم. وهناك حوار بين الرسل وأقوامهم أو بين المؤمن والكافر ، وأشار القرآن الكريم إلى الحوار الذي دار بين الرجلين: رجل مؤمن ، ورجل كافر في قوله تعالى: (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ، وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رددت إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا....)[٢]، والحوار الدائر في هذا السياق بقصد تصحيح مفهوم وتصورات ومعتقدات خاطئة منشؤها إنكار البعث والإيمانُ ببقاء القيم المادية وثباتها. عناصر الحوار في القرآن الكريم في ظل الحوارات القرآنية يلزم أن يكون للحوار مناخ مناسب وعلى المحاور أن يكون قادرا على إدارة الحوار بالصيغة المقنعة والحجة الدامغة ، وقد أراد الله للرسول في القرآن الكريم أن يوجد القاعدة الأساسية لهذا المناخ ، بالتخطيط العملي لتوفير الخصائص الضرورية لذلك ، وفي مقدمتها شخصية المحاور الذي يقود عملية الحوار ويتبنّاها وشخصيّة الطرف الثاني للحوار ، حيث الحالة النفسية التي تعيش مع الحوار في طريق المعرفة والايمان ، لا في الجدل العقيم. ثمّ... المحاولة الجادّة لخلق الأجواء الهادئة للتفكير الذاتي المستقل ، الذي يبتعد عن التأثيرات الانفعالية ، التي تُربك ذهن الإنسان وتفكيره ، وتبعده عن الآفاق التي يمثل فيها شخصيته الخاصة ، لا شخصيّة الآخرين ؛ لئلا يكون مجرّد ظلّ للآخرين ، لا يملك أن يريد وأن لا يريد ، لأنه لا يملك أن يفكر أو أن لا يفكر ، إذ إنّه تعود أن يفكر الآخرون عنه وأن يريدوا له ما يفعل وما لا يفعل ، ثمّ ينطلق في التركيز على توفر شروط الحوار الطبيعية لدى طرفيه ، وهي تكمن في معرفة كلّ إنسان الفكرة التي يريد الحوار فيها بجميع مستلزماتها العامة والخاصة. وفي نهاية المطاف لا بد له من ممارسة الأسلوب ، الذي يستطيع ان يقود الاخرين الى الفكرة ولا يبعدهم عنها في قليل او كثير أما أن يكون الحوار من لدن الله عز وعلا فأن ذلك يعني الاكتمال والكمال واللين مرة والترهيب في أخرى كما سنجد ذلك في الآيات التي كانت مع المشركين أو المنكرين أو المعاندين ، وفي كل حوار عناصر يستوجب توفرها أنّ العناصر التي يجب توفّرها في عملية الحوار ، خمسة وهي: أولاً: قوة شخصية ومكانة المحاور الذي يدير عملية الحوار من الطبيعي لأي حوار يدور بين اثنين ، لينتهي في هدفه إلى النتيجة الحاسمة من الإيمان العميق المنفتح والمتقبل لنتائج الحوار ، أن يحقق شرطاً أساسياً ، هو أن يملك كلُّ من الطرفين حرية الحركة الفكرية ، التي يملك معها الثقة بشخصيته الفكرية المستقلة ؛ فلا يكون واقعاً تحت رحمة الإرهاب الفكري والنفسي ، الذي يشعر _ معه _ بالانسحاق امام شخصية الاخر نتيجة احساسه في اعماقه ___ بالعظمة الكبيرة والمطلقة التي يملكها الاخر فتتضاءل ___ إزاء ذلك___ ثقته بنفسه ، وبالتالي ، ثقته بفكره وبقابليته لأن يكون طرفاً للحوار ، فيتجمد عند ذلك ويفقد قدرته على الحركة الفكرية ، فيتحوّل إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر [٣]وقد عمل الرسول الكريم– من خلال تعاليم الله في القرآن الكريم ___ على توفير ذلك الشرط للآخرين عندما كان يتحدث إليهم ، فحاول انطلاقاً من ذلك أن يؤكد في أكثر من مناسبة على جانب البشرية فيه ؛ فهو بشر مثلهم لا يملك أية قوّة غير عادية في تكوينه الذاتي ، فلا يستطيع اجتراح المعجزات التي يقترحونها عليه ، ولا يعلم الغيب ، بل كلّ ما في الأمر ، أنّ هناك وحياً ينزل إليه من الله باعتباره رسول من صاحب الوحي.. أما دوره في هذا الوحي ، فهو دور الإنسان الذي يريد أن يبلغه للناس بكلّ وسيلة مقنعة ، دون أن يملك أمر فرضه عليهم ، وهدايتهم لأنه لا يملك الطاقة السحرية المعجزة التي تدفعهم إلى الإيمان بما يدعوهم إليه دون أن يملكوا أمر مقاومته في ذلك ، أو يستطيعوا التفكير فيه سلباً أو إيجاباً. بل تبقى لهم حرية ذلك كلّه ، فإن استجابوا له واقتنعوا بما دعاهم إليه ، فقد حصل على غايته من أداء رسالته ، وإن لم يستجيبوا له فحسبه أنه قد بلغ عن ربه وقام بواجبه. قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يشرك بعبادة ربه احداً) [٤] ، (قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) [٥] .

ثانياً: شخصيّة الطرف الآخر للحوارلا بد لمن يدخل في عملية الحوار من إعداد جوّه الداخلي ، للإقتناع بالنتائج الحاسمة التي يقوده إليها ، وإلاّ انقلب الموقف إلى جدل عقيم ، لا يُراد منه إلا عرض العضلات الكلامية والمزايدات الجدلية ، التي لا تقدّم أو تؤخّر في الموضوع ؛ لأنّ الفكرة قد أُعدّت سلفاً بشكل لا مجال للتراجع عنه على قاعدة من الدوافع الذاتية والاجتماعية التي لا ربط لها بالقناعة الذاتية الفكرية ، المرتكزة على أساس من الحجّة والبرهان .وقد ركز القرآن على هذا الجانب ، فتحدّث عن أولئك الذين لا يريدون أن يؤمنوا أو يقتنعوا وذلك في قوله تعالى: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَلِينَ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) [٦] وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ

تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ الله على قُلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) [٧]إنها الصورة الحية لأولئك الذين يستمعون إلى الدعوة ، وقلوبهم مغلقة عن وعي ما يسمعون وآذانهم مسدودة عن الإصغاء إليه ؛ فإذا جاءتهم آيات الله بكلّ جلاء ووضوح ، أعرضوا عن الإيمان بها ، لا لأن لديهم ما يواجهون به هذه الآيات ، ليبرّروا به إنكارهم ورفضهم فهم لا يملكون شيئاً من ذلك بل لأنّهم يريدون أن ينكروا عناداً وكفراً ؛ ولذا فإنّ الكلمة التي يوجهونها للدعوة ويواجهون بها الدعاة ، لا تعبر عن أية مسؤولية فكرية ، وهي قولهم: (إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) دونما حُجّة أو برهان على ذلك[٨] وربما نجد نماذج حية من هؤلاء في الواقع المعاصر من الكثيرين من أعداء الدين ، الذين لا يملكون علماً يواجهون به الفكر الديني في عقائده ومفاهيمه العامة في شؤون الحياة ، إلا كلمة الأسطورة و" الخرافة" يدمغونه بها ، أما لماذا ؟ وكيف ؟.. فهذا ما لا يحاولون الإفاضة فيه ؛ وربّما يلجؤون إلى طريقة يغلقون بها باب الجدل في الموضوع بالإيحاء بأنّ الدين قد انتهى دوره وتجاوزه العصر ، ليحل محله العلم.. ولكنّهم لا يدعمون ذلك بالحجّة الواضحة والبرهان القاطع ، لأنهم لا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً[٩]. وقد نجد هناك بعض الآيات التي تجسد هذا الموقف تجسيداً حياً ، يظهر بوضوح ـ فظاعة المكابرة التي يلجأ إليها هؤلاء في موقف الإنكار والجحود الأعمى ، وذلك في قوله: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ونذرهم في طغيانهم يعمهون * ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قُبلاً ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون) [١٠] فإنّ هؤلاء لا يريدون الإيمان بالله ويطالبون بآيات خارقة للعادة ، يقترحونها على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) كشرط من شروط الإيمان لعلمهم بأنّ ذلك غير وارد في رسالته فإنّ الآيات ليست لعباً ولهواً لكل من يريد أن يلهو أو يلعب ، بل هي خاضعة للحكمة الإلهية التي لا تُنزل أيّ شيء إلا بمقدار الاستجابة للضرورة ، التي يدعو إليها موقف النبوات في بعض حالات التحدي التي تواجهها بقوّة. ثمّ إنّ قضية الإيمان ـ في واقعها الأصيل ـ بالنسبة ، لمن يريد الوصول إلى الحقيقة ، ليست مرتبطة بالآيات بل هي مطروحة في كلّ مكان ، وفي كلّ موقف من موقف الإسلام في الحياة فلم يبق إلا المكابرة ومحاولات التبرير الواهية التي لا تستند الى أساس ، وهذا ما أراد القران الكريم تصويره بهذه الآية الكريمة التي ختم بها الصورة .وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)[١١] (فليست القضية آيات تقترح ليستجاب لها أو لا يستجاب ؛ بل القضية قضية فقدان الاستعداد للإيمان مهما كانت الآيات والبراهين. ونلتقي في هذا النموذج مع الناس الذين يكابرون ولا يريدون أن يقتنعوا أو يؤمنوا ،.. ببعض الأشخاص الذين يصوّرهم لنا القرآن الكريم بصورة رائعة في قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يكلمنا الله أو تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [١٢]وقوله تعالى: (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [١٣]إِنَّهَا الأساليب الساذجة التي تحاول أن تتلمس الإيمان من خلال طلب مواجهته بالرؤية أو سماع كلامه مباشرة ، أو طلب تلمس عذابه على أساس موقف الإنكار[١٤] ، كما هي الحال لدى بعض الناس ممن يريدون خداع البسطاء والساذجين من الناس ، عندما يقفون بعض المواقف الاستعراضية ليرفعوا أيديهم ، فيقولون لمن حولهم : ان كان الله موجوداً فليكسر أيدينا ، او فلينزلها . او ليطلبوا الى الأطفال ___ في بعض المواقف ___ ان يتقدموا الى الله بطلب انزال الماس او الملابس او الأغذية عليهم ان كان موجوداً ، لتكون النتيجة في عدم تلبيته لتلك المطالب دليلاً على نفي وجوده . انها الأساليب الساذجة الخادعة ، التي تريد ان تخضع قضية الايمان للاستفزاز او للتحدي ، تبعاً لمزاج شخص يدّعي الأهمية والعظمة ويعطي لنفسه القيمة الكبيرة التي تجعل لإيمانه أو عدم إيمانه أثراً كبيراً في واقع الحياة. وقد صوّر الله لنا نزعة الكبر المتأصلة في صدور هؤلاء بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [١٥]، وقوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً) [١٦]، وفي مقابل تلك الصورة القائمة التي يعطيها القران الكريم للمعاندين والمكابرين الذي لا يريدون ان يؤمنوا ، مهما كانت وسائل الايمان موفورة لديهم ..، تواجهنا الصورة المشرقة للنموذج الحي الرائع الذي يبحث فيه الانسان عن الحق ويسعى اليه ، وهي صورة النبي إبراهيم (عليه السلام) ، في مواقفة التي كان فيها هو نفسه طرفاً للحوار الذاتي امام دعوة الحق والباطل ، حيث يطرح قضايا الباطل من خلال أفكاره ، ثم يبدأ عملية التساؤل والحوار الذاتي ، الذي يجرّد فيه من نفسه شخصاً ثانياً يتأمّل ويناقش من أجل الوصول إلى الحق ، لينتهي بعد ذلك إلى موقف الإيمان الحق ، بأقصر طريق وأقواه. أنظر إلى هذا الموقف الرائع الذي يصوّر لنا فيه رحلة الإنسان الباحث عن الحق من موقع الشك إلى موقع اليقين في أسلوب هادئ ، ينطلق من الحوار الذاتي الذي يصلح أن يكون أنموذجاً للحوار بين فريقين ، يعملان على الوصول إلى الحق من خلال التفكير المشترك[١٧]. قال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ* فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كوكباً قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما افل قال لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي

بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِين) [١٨]، فقد بدأت القضية لديه كما بدأت عند البسطاء والساذجين من قومه من الخضوع للظواهر الكونية ، بما تمثله من عظمة ، وبما يكتنفها من أسرار ، فكان عبادة الكواكب.. وعبادة القمر. وعبادة الشمس ، وكانت الأوضاع المختلفة لها ، هي التي تقرّر طبيعة العبادة لهذه أو تلك ، في وعي أولئك الناس ، على ضوء ما نفهمه من التدرج في قضية الالوهية المدعاة من الصغير ، الى الكبير ، الى الأكبر ، مما جعل إبراهيم ع ـــ وهو يصور تفكير قومه ـــ يشعر بالخضوع للشمس ـــ في النهاية فيعتبرها ربا يستحق العبادة لانها اكبر من الكوكب ومن القمر ، فهي احق بالعبادة لانها تحمل من مظاهر العبادة ما لا يحمل انهو كانت الفكرة تنمو في ذهنه أمام عظمة هذه أو تلك.. ولكنّها لم تلبث أن تراجعت إزاء حالة الأفول التي تمثل الضعف والغيبوبة عن الكون ، ممّا يجردها عن صفة الألوهية التي تخلق الكون وتديره وترعاه وتدبّره ؛ الأمر الذي يفرض فيها القوّة التي لا يعرضها الضعف والحضور الدائم الذي لا يعتريه الغياب. وهكذا استطاع أن يتجاوز هذا الاعتقاد الطارئ السريع إلى المطلق الذي فطر السموات والأرض ، مما يجسد الإحساس بوجوده من خلال مظاهر خَلْقه ، ويعمق الشعور باستمرار هذا الوجود من استمرار حركة الكون في نظامه ودوامه . انها الصورة الحية للإنسان الذي يعيش قلق المعرفة من اجل ان يصل الى طمأنينة الايمان ، ولذا فهو يلاحق خطوات المعرفة بروح واعية منفتحة خاضعة للحق في كلّ أدلته وبراهينه [١٩] . وينقل لنا القرآن الكريم صورة أخرى عن إبراهيم النبي (عليه السلام) في موقف آخر ، يجسّد لنا فيه طبيعة الإنسان الذي يريد أن يؤمن ، ويعمل على أن يتجاوز الإيمان إلى مستوى الاطمئنان الروحي ، ولذا فهو يبحث عما يركز هذه الطمأنينة في القلب ، وهو قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ ان الله عزيز حكيم) [٢٠]فهو يؤمن بقدرة الله المطلقة إيماناً ينبع من التفكير والملاحظة ، ولكنّه يطلب أن ينطلق الإيمان من الحس ، لأنه يربط القلب بالفكر ، والعقل بالنظر وبكل قوة.. ولم يكن هذا الطلب تحدياً ، بل كان دعاءً ورجاءً حاراً يتمنى فيه على الله بشعور صادق ـ أن يستجيب له لقدرته على ذلك ، وحاجته إليه من خلال مسؤوليته الرسالية في مجتمعه الكافر الذي اضطربت فيه جوانب العقيدة وتعدّدت فيه طرق الضلال. وهكذا استطعنا أن نجد في شخصية إبراهيم ، من خلال هاتين الصورتين اللتين يعرضهما القرآن له في حواره المتحرّك في طريق الإيمان ، الشخصية الدينية للطرف الثاني للحوار ، الذي يريد أن يصل إلى الحق فيعمل كلّ ما في طاقته لتحقيق هذا الهدف الكبير دون ان يمنعه من ذلك مانع قريب او بعيد .

ثالثاً: أجواء الحوار لعل من أشدّ الأمور ضرورة لوصول الحوار إلى هدفه ، وجود الأجواء الهادئة للتفكير الذاتي الذي يمثل فيه الإنسان نفسه وفكره ، والابتعاد عن الأجواء الانفعالية التي تعيق الإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير ؛ فإنّه قد يخضع في قناعاته وأفكاره للجوّ الاجتماعي الذي تنطلق فيه الجماعة في أجواء انفعالية حماسية لتأييد فكرة معينة ، أو رفض أخرى ، فيستسلم الإنسان لها استسلاماً لا شعورياً ، كنتيجة طبيعية لانصهاره بالجو العام وذوبانه فيه.. الأمر الذي يفقد فيه استقلاله الفكري وشخصيته المميّزة ، ويحيله ظلاً باهتاً للجماعة[٢١] وقد صوّر لنا القرآن الكريم ذلك في ما نقله لنا من أسلوب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) في الحوار مع خصوم العقيدة ، عندما واجهوه بتهمة الجنون. فقد دعانا إلى أن نتجرَّد عن هذا الجو الانفعالي ، إذا ما أردنا أن نتبنى فكرة أو نرفضها ، أو تنسجم مع موقف ، أو نبتعد عنه. قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)[٢٢]فقد اعتبر القرآن الكريم اتهام النبي بالجنون ، خاضعاً للجوّ الانفعالي الذي كان يسيطر على التجمع العدائي لخصومه آنذاك ، مما جعلهم لا يملكون ما يستطيعون أن يَزِنوا به صحة القضايا وفسادها ، بل ظلت أفكارهم صدى لأفكار الآخرين ، ولذلك دعاهم إلى الانفصال. هذا الجو المحموم بأن يتفرّقوا مثنى وفرادى ، في موقف فكر وتأمل ، يُرجع إليهم أفكارهم وشخصياتهم ، ليصلوا إلى النتيجة الحاسمة بأسرع وقت ، لأنّ طبيعة الفكر الهادئ الواعي الذي يواجه شخصية النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم وأفكاره وتعاليم رسالته ، سوف يضع القضية في موقعها الطبيعي الذي يرفض هذه التهمة جملةً وتفصيلاً ، لينتهي– بعد ذلك ـ إلى الإقرار بأنه رسول الله إلى الناس لينذرهم بالعذاب الأليم. وقد نجد مثل هذه الأجواء الانفعالية في كل مكان واجهنا فيه واقع الصراع المرير الذي يخوضه الإسلام مع أعداء الله ، سواء منهم الملحدون ، أو غيرهم ممن يختلف معهم في تفاصيل العقيدة والشريعة ، فنلتقي بالاتهامات التي تُطلق بلا حساب في أجواء الجماعة ، كنتيجة لمواقف الدعاة إلى الله الذين يتوجهون إلى المجتمع بالفكر الإسلامي الأصيل ، ممّا لا ينسجم مع واقع الانحراف الفكري أو العملي الذي تعيشه مجتمعات الكفر والضلال . فينطلق أعداء الله باتهاماتهم الظالمة المدروسة التي تصفهم بالرجعية تارة ، في اطار قضية التقدم الفكري والاجتماعي ، و بمحاربة الوطنية أخرى ، وبالتعاون مع الاستعمار ثالثة في نطاق قضيّة التحرّر السياسي.. ثم لا يقف الأمر بهم عند هذا الحدّ ، بل يحاولون أن يتخذوا من ابتعاد المجتمع عن قوانين الإسلام ، وعن روحه واستسلامه لقوانين أخرى وعقليات كافرة ، مجالاً لتأليب الناس على هذا الفكر وهذا الدين ، كما يفعلون في تصويرهم للقانون الإسلامي

بقطع يد السارق ، بأنه من الأساليب الوحشية التي لا تنسجم مع قوانين العصر الحديث ، الذي يحاول معالجة الجريمة بالطرق العلمية على أساس قواعد علم النفس والاجتماع ، بعيداً عن العنف والقسوة ، دون النظر إلى تجربة هذا الأسلوب العملية التطبيقية ، التي استطاعت أن تقطع جذور السرقة في بعض المجتمعات المعاصرة ، مقابل التجارب الكثيرة العلمية في اكثر البلاد تقدماً ، التي لم تستطع ان تحقق اية نتيجة ملموسة في هذا المجال [٢٣]ثم يضيفون إلى هذه الصورة أسلوباً جديداً في مواجهة هذا التشريع ، فيقولون إنه يخلق في المجتمع مجموعة من الأفراد الذين يعيشون عالةً عليه ، لأنهم لا يملكون إمكانية العمل ، بسبب فقدان أيديهم التي يعملون بها إذا أرادوا ممارسة العمل الشريف ، وينطلقون بهذا الأسلوب وأشباهه في أجواء انفعالية وعاطفية ، ويغفلون الجوانب الأساسية التي انطلق منها التشريع في حساب الربح والخسارة في حياة المجتمع ، ويثيرون المشاعر العدائية على أساس ذلك ، مما لا يجعل للعاملين مجالاً للمناقشة في هذا الجو المحموم [٢٤]وقد يتمثل ذلك في الحديث عن المرأة وحقوقها ، وقضيّة السفور والحجاب ، وتعدّد الزوجات ، وقانون الطلاق وغير من الأحكام ، التي قد يكون لها بعض الآثار السلبية في بعض المجتمعات التي نشأت على مفاهيم منحرفة وأفكار ضالة ، كما هو الحال في المجتمعات الغربية التي تعالج موضوع الطلاق وتعدد الزوجات من زاوية التفكير المسيحي الذي طبع الفكر الغربي بطابعه ، مما جعل بعض الحكام من المسلمين يضعفون أمام تلك الحملة التي يشنها رجال القانون والاجتماع من الغربيين ، فيبادرون إلى سنّ التشريعات المخالفة لحكم الله سبحانه وتعالى ، دون التفات إلى إيجابياته لخوفهم من الاتهام بالتخلف والرجعية ، دون النظر إلى الدوافع التي دفعت تلك المجتمعات الى الحملة على مثل هذه القوانين الإسلامية التي ارادت ان تنظر الى مصلحة الانسان ككل ، بعيداً عن التأثيرات العاطفية التي لا يمكن ان يقوم عليها أي قانون او تشريع

رابعاً: موضوع الحوار لا بد لكل من طرفي الحوار من التعرّف على الفكرة التي ينطلقان في طريق إثباتها ونفيها ، لأنّ الجهل بها وبتفاصيلها يحوّل الحوار إلى أسلوب من أساليب الشتائم والمهاترات ، التي يغطي بها كلّ منهما ضعفه وعجزه عن الوقوف موقف المدافع القوي عن فكرته. بينما تجعل المعرفة كلاً منهما واعياً لما يطرح وما يستقبل من فكر ، مما يجعله يعرف كيف يبدأ الحوار ، وكيف يخوض فيه ، وكيف ينتهي منه ، في وضوح الرؤية وهدوء الفكر وقوة الحجّة ووداعة الكلمة وقد أعطانا القرآن الكريم بعض النماذج البشرية التي وقفت ضدّ الرسالة والرسول ، من دون أن يكون لها إحاطة ومعرفة في ما تأخذ وفي ما تدع ، كما في قوله تعالى: (هَا أَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ)[٢٥] ، (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[٢٦]. وقال تعالى: (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ بعلمهِ ولَمّا يأتِهم تأويلُهُ كذلك كذّب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)[٢٧]فقد نفهم في هذه الآيات أن القرآن الكريم يأخذ على كلّ هؤلاء الذين يخاصمون النبوات والرسالات السماوية ، أنّهم يدخلون معركة الحوار دون سلاح ، لأنهم لا يملكون علماً أو حجّةً ، أو إحاطة بالموضوع الذي يرفضونه ، مما يجعل من جدالهم ورفضهم قضيّة مزاج ، وعقدةً نفسية تتحكم بهم ؛ فتدفعهم إلى اللف والدوران تارة ، وإلى التكذيب بلا مبرر أخرى ، الأمر الذي لا يؤدي إلى أية نتيجة لحساب المعرفة أو لمصلحة الحق[٢٨]. ولعلنا نجد في واقع الصراع ، الذي يخوضه الإسلام مع خصومه الكثير من هذه النماذج التي تدخل مجال الصراع دون أن تعرف طبيعة الفكرة التي تدافع عنها ، أو تهاجمها ، سواء في ذلك الذين ينطقون باسم الإسلام [٢٩] أو **الذين ينطقون باسم الكفر والضلال** ، ممن لا يعرفون من أفكارهم وأفكار خصومهم إلا بعض المفاهيم العامة ، التي يحوطها الضباب في أذهانهم من كلّ جانب.. وقد تمتد بهم المعرفة إلى وعي بعض الأفكار المحدّدة في مفهومها وتطبيقها ، ولكنهم يجهلون ارتباطها ببقية الأفكار ، التي تجعلها وحدةً فكرية متكاملة ، فيسيؤون إلى الفكرة عندما يقتطعون منها بعض الجوانب ، دون غيرها ؛ مما يفقدها العناصر الأساسية التي تعطيها القوة والحيوية.

ومن الطبيعي ـ لهذا كله ـ أن نحصل على نتيجة قلقة من خلال عملية الحوار ، قد تتمثل في ضعف موقف المدافعين عن الإسلام أو الداعين إليه في بعض الحالات ، وقد تتمثل في ضعف أولئك في دفاعهم عما يؤمنون به ، لا لضعف في طبيعة الفكرة ، بل لضعف في معرفتهم بها ؛ ممّا يؤدّي إلى استسلام الدعاة المسلمين إلى زهو الشعور بقوة حجتهم أمام ضعف عقيدة الكفر ، فيتركون الاستعداد الكبير لمواجهة القوّة الحقيقية لمبادئ الكفر والضلال التي تتمثل في المفكرين الكبار الذين وعوها حق الوعي ، وعرفوها حق المعرفة ، فيؤخذون على حين غرة وغفلة ؛ الأمر الذي يؤدّي__ في بعض الحالات__ إلى الهزيمة الفكرية التي تنعكس على حركة الدعوة الإسلامية في الحياة . وفي ضوء هذا ، نشعر أنّ على الداعية المسلم أن يتزوّد بالثقافة الإسلامية ، التي تجعله قوياً في حجّته أمام خصومه من موقع المعرفة العميقة للإسلام ، لا من مركز ضعف خصومه ، كما أن عليه أن يحيط بالثقافة المضادة التي يملكها أعداء الإسلام ، مما يعتبرونه سنداً لمبادئهم وحجةً لأفكارهم ، حتى يخلص من خلال الموازنة والمفاضلة بين العقيدتين أو بين المفهومين ، إلى النتيجة التي لا تختلف حالها ، حسب اختلاف قوّة الخصم وضعفه ، من حيث المعرفة والحجّة والأسلوب[٣٠]

خامساً: الأسلوب الحواري في ما يحدثنا به القرآن الكريم– أنّ هناك طريقتين للحوار الفكري ، أو للصراع في جميع مجالاته ، فهناك طريقة العنف التي تعتمد مواجهة الخصم بأشدّ الكلمات والأساليب وأقساها ، بحيث يتركز الاختيار على كلّ ما يساهم في إيلامه وإهانته وإهدار كرامته ، فلا مجال لمراعاة مشاعره وعواطفه ، ودراسة واقع حياته ، والإحاطة بظروفه من أجل المحافظة على الانسجام معها ، بل الأمر ربما يكون على العكس من ذلك . تحدياً للمشاعر في كل المجالات. وقد لا نحتاج إلى التأكيد بأنّ مثل هذه الطريقة لا تنتج إلا مزيداً من الحقد والعداوة والبغضاء والبعد عن كلّ الأجواء التي تقرب الأفكار ، وتساهم في الوصول بالصراع إلى نتيجة طيبة . وهناك طريقة اللا عنف ، او الطريقة السلمية التي تعتمد اللين والمحبة اساساً للصراع ، انطلاقاً من القاعدة الإسلامية التي تعتبر موضوع الصراع بمختلف مستوياته و مجالاته ، وسيلةً من وسائل الحركة المنفتحة للوصول إلى الهدف ، وهو الإيمان بالحق والوقوف معه والعمل على حشد أكبر عدد ممكن من الناس للارتباط بالهدف والانسجام معه ؛ ولا بد لهذا الخط الالتقاء بكل الكلمات والأساليب الطيبة المرنة التي تفتح القلوب على الحق ، وتقرب الأفكار إلى مفاهيمه وأحكامه ، بعيداً عن كل المعاني الشريرة والسلبيات القاسية. وقد ركز الإسلام على هذه الطريقة في كل أساليب الحوار والجدال من أجل الوصول إلى المعرفة من جهة ، أو إلى الموقف الحق من جهةٍ أخرى ، وأطلق على ذلك كلمة التي هي أحسن" ؛ فهي الطابع الذي يطبع كلّ وسائل الحوار وأساليبه [٣١] قال الله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [٣٢] ومن الواضح لدينا أن الحسنة تعبر عن الأسلوب السلمي ، بينما تعبر السيئة عن الأسلوب العنيف. ونلاحظ أنّ القرآن الكر ، يختار لنا أسلوب اللاعنف وطريقة اللين ، يشير إلى النتائج العملية التي تجنيها الرسالة من خلال هذا الأسلوب ، وهو أن تحوّل أعداءك إلى أصدقاء ، ينطلقون معك في ما تفكر فيه وفي ما تعمل له. ثم يعقب على ذلك بالإيحاء بأنّ السير في هذا السبيل يحتاج إلى مزيد من الصبر وإلى حظ عظيم من الإيمان ، لأنّ ذلك يخضع لقوّة الأعصاب ، ومرونة الشخصية في مواجهتها لتحديات الخصومة ومشاكل الصراع. وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في آيتين أخريين تتعلقان بالدعوة والحوار بشكل مباشر: (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[٣٣]. وقال تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[٣٤]. ولن نحتاج إلى جهد كبير ، لنعرف أنّ الجدال بالتي هي أحسن يتمثل في اتباع أفضل الأساليب وأحسنها في إقناع الخصم بالفكرة التي يدور حولها الحوار ، بحيث يظلّ الداعية في ملاحقة جادة واعية لكل الأساليب المطروحة المعروفة وغير المعروفة ، ليختار منها الأسلوب الاحسن والطريق الأقوم ، سواء في ذلك الكلمات التي يستخدمها او المعاني التي يعبّر عنها ، ولعل من افضل الأمثلة على ذلك ، هو النموذج الذي طرحه القران الكريم في نهاية الاية الأخيرة ، في الحديث عن جدال اهل الكتاب بالتي هي احسن ، فقد بدأت الاية الكريمة الحوار معهم بالطريقة التي تبحث عن مواطن اللقاء التي نؤمن بها ، من خلال رسالتنا وفكرنا ، فنحن لا نتنكر لما يؤمنون به من كتاب وما يعتقدونه من رسالة ، فإنّ القيمة الكبيرة للإسلام هو أنه ينطلق من الإيمان بكل الرسالات السماوية ، الأنبياء ، والشعور المشترك منا ومنهم بالعبودية لله سبحانه وتعالى الذي نسلّم له ولرسالاته. وعلى هذا الأساس يبدأ الحوار من قاعدة مشتركة يمكننا أن نقف عليها معاً ، حيث نشعر بإمكانية اللقاء في القضايا الأخرى ، بعد تحقق اللقاء في القضايا الأساسية[٣٥] وكان أسلوب النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) في طريقة الحوار مع خصومه ، مثلاً رائعاً على حيوية القاعدة الإسلامية في أسلوب الحوار ومرونتها. وقد كانت مسيرة الدعوة ، في الممارسة الرسالية ، خاضعة في خطوطها العامة والخاصة لحركة النبي ، فقد كان هو الذي يتولّى عملية خلق الجوّ الطبيعي للحوار وإدارته ، ودفع الدعوة إلى أن تتحرك في إطاره ، وبذلك كانت سيرته تجسيداً عملياً لكلّ القواعد العامة في الفكرة والأسلوب. ويواجهنا ـ في الجانب ـ أسلوبان عمليّان في حركة الدعوة الإسلامية في سيرة النبي القرآنية: الأول: الأسلوب العملي الذي يعتمد على تفريغ الموقف من الأفكار المسبقة ، التي تحوّل الموقف إلى عُقدة تفرض نفسها على كل مواطن الحوار ، وتشكل حاجزاً يمنع الأطراف من الشعور بحرية الحركة في ما يقبلون وفي ما يرفضون ، ويتمثل ذلك في اعتبار الشك في الفكرة موقفاً مشتركاً بين الطرفين ، يوحي! لكلّ منهما بضرورة إعادة النظر في القضية ومحاولة مواجهتها من جديد ، كما لو يواجهها من قبل ، فليس هناك حكم سابق من أي من الطرفين على خصمه بالهدى أو بالضلال ، بل هو الموقف المشترك الذي يريد أن يصل إلى الحقيقة ، من خلال الحوار الإيجابي القائم على الوعي والشعور العميق بالحاجة الى الوقوف مع خط الايمان بالنتائج أياً كانت ، وهذا ما تجسده لنا الاية الكريمة في قوله تعالى :(وإنَّا أو إياكم لعلى هدىً او في ضلال مبين) [٣٦] فلم يعطِ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في أسلوبه هذا لنفسة صفة الهدى ، ولم يدمغ خصمه بصفة الضلال ، مع ايمانه العميق بأن القضية في واقعها الأصيل لا تبتعد عن ذلك ، ليترك المجال للقضية أن تتحرّك في حريّةٍ ، لتصل إلى النتيجة الحاسمة ، من موقع الحرية الفكرية الخط المنطلقة مع الحوار في ا الصحيح [٣٧] الثاني: الأسلوب العملي الذي يواجه فيه الخصم بقناعاته المرتكزة على ما يملك من أدلة وبراهين على

صحتها ـــمن جهة ـــ وفساد الأفكار المضادّة لها ، من جهة أخرى.. ولكنّه لا يجعل من هذه القناعات سداً منيعاً يغلق على الموقف أبواب التحرك مع قناعات الآخرين ، بل يترك الباب مفتوحاً للأفكار المضادّة ، لتطرح نفسها من جديد ، من خلال ما تملك من أدلة جديدة تستطيع أن تتغلب على أدلّة الفكرة التي يؤمن بها ، لتثبت أنها أفضل وأهدى سبيلاً. ولعلّ وجه القيمة في هذا الأسلوب ، انه يجرد الموقف من حالات التعصب والتزمّت التي تحجّر الفكرة فلا تسمح لها بالتحرك الذي تخوض معه الصراع من جديد.. فيكون الموقف الإيماني واضحاً قوياً يتحدى ويقبل التحدي بحيث يكون جاهزاً لذلك في كل وقت ، كلما برزت هناك حاجة جديدة للصراع ، أو كلما استطاع الخصم أن يحصل على دليل جديد للفكرة المضادة وهذا ما توضحه لنا الآية الكريمة: (قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[٣٨]. فالقضيّة كلّ القضية ، هي أنَّ هناك هدى يجب أن يُتبع في الطريق أو في الغاية.. وقد كان إيماننا ومسيرتنا في خط هذا الإيمان على أساس قناعتنا بأنّه الهدى وأنّ غيره ضلال وانحراف ، فإذا كان لديكم طريق أفضل ، أو كتاب أهدى فدلونا عليه لنتبعه ، لأننا لا نخضع لاية عقدة ذاتيه في هذا المجال [٣٩] . ان كلا هذين الأسلوبين يلتقيان في إفساح المجال للحوار أن يتحرّك بكل حرية ، لكنّ الأول ينطلق من موقع الشك الذي يطرح كلّ القناعات جانباً ليبدأ القضية من جديد ؛ بينما يتمثل الثاني في الوقوف مع القناعات في موقف متحرّك ، يترك المجال مفتوحاً للقناعات المضادّة لكي تطرح نفسها ، مع إعطاء إمكانية فكرية ونفسية للإيمان بها على أساس جديد. وقد نشعر– كدعاة إسلاميين– بالحاجة الملحة إلى كلا هذين الأسلوبين لنخترق الحواجز الفكرية والنفسية التي يضعها خصوم الدعوة إلى الله أمامها ، ليمنعوها من التحرّك ، بما يثيرونه من الاتهامات الظالمة والمليئة بالتعصب والتزمت والتحجّر ، التي تمنعنا من الدخول في عملية جدال معهم .وربما تنطلق الحاجة إليه في ـــبعض الحالاتـــ من الإحساس بضرورة اقتحام المواقف المتعصبة والمتعنتة التي يقفها أولئك الخصوم ، ليمنعوا أتباعهم من السير معنا بعيداً في عملية الحوار الذي يقودهم إلى الإيمان بالله ، فقد ينفع هذا الأسلوب في دفع هؤلاء إلى الشك في عقيدتهم ، عندما تتسلم زمام المبادرة في الإعلان عن ا عقيدتك وفي عقيدتهم ، كحركة بارعة للالتفاف حول الموقف [٤٠]وقد نجد الأثر الكبير ـ من خلال التجربة العملية– في الطريقة التي توحي بها لخصمك ، أنك لا تمانع من الوقوف معه والسير في اتجاه الخط الذي يؤمن به ، إذا استطاع أن يقنعك بأنّ عقيدته أفضل من عقيدتك ، وبأنّ طريقه أهدى من طريقك... إنّك ـ بهذا الأسلوب ـ تقدّم له الإغراء الكبير لأن يدخل معك عملية الحوار من أجل أن يجرّك إلى موقفه. وهكذا تنجح في تحطيم الحاجز الذي يمنعه من الالتقاء بك في هذا المجال .

الخاتمة

نجد أن الله تعالى قد وجه الخطاب لعموم الناس في غير موضع من القرآن ، وكلُّ خطاب فيه له هَدَفُه ومَقاصِدُه ، ومجموع سياق هذه الآيات الواردة في خطاب النَّاس عشرون موضعا ، إلَّا خمسة مواضع منها– خطاب الله لانبياءه الكرام والمرسلين عليهم السلام ، وأمرهم بدعوة الناس إلى الإيمان والتوحيد ، وإلى أصول الخير والسعادة وأشياء أخرى ، والذي ذكرناه على سبيل الاستشهاد المفضي لتحقيق منفعة للمتلقي واشارة الى مستويات الخطاب الإلهي . – خاطب وحاور الله المؤمنين والصالحين في مواضع كثيرة بصفة الإيمان خاصة في القرآن في حوالي تسعة وثمانين موضعًا في القرآن ، وكذا خطابه لسائر الصالحين والمؤمنين.– خاطب الله في كتابه العزيز اهل الكتاب ، ودعاهم إلى اتباع الهدى والحق ، وإلى الحكم بما أنزل الله ، وإلى الإيمان برسالة النَّبي (صلى الله عليه واله وسلم) ومتابعته ، وكذا خطابه لسائر الكفار والمشركين إلى معرفة الله وحده وعبادته سبحانه . – هناك بعض أنواع الخطاب الأخرى مثل خطاب الخلق بعضهم لبعض ، كخطاب المنافقين بعضهم لبعض ، أو خطاب المؤمنين للكافرين ، أو خطاب الكفَّار للمؤمنين كالذي كان ذكره في سورة الأعراف ، أو خطاب المؤمنين للمؤمنين كالذي في سورة الطور ، أو خطاب الكفار للكفار كالذي في سورة سبأ والأعراف ، وغير هذه الخطابات كثيرة ، ولنكتف هنا بذكر الأنواع التي بيناها لكونها كافية بالغرض إن شاء الله تعالى

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المعاجم

١- ابن فارس ، أبو الحسن احمد بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٩ م

٢- ابن منظور ، محمد بن مكرم لسان العرب دار النشر ، لسان العرب بيروت- لبنان ، د ط ، دت.

٣- الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣ م) ، أساس البلاغة ، ط ٢ ، مصر (دار الكتب ١٩٧٢ م)

ثانياً: الكتب

١ -ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩ م) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ط ١ ، تحقيق: طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطنطاوي ، بيروت (المكتبة العلمية- ١٩٦٣)

٢- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ ١٤٠٥ م) ، المقدمة ، بيروت دار الكتاب العربي- د.ت).

٣- ابن عبد البر القرطبي ، الاستيعاب في تمييز الأصحاب ، مطبعة دار المعارف النظامية ، ١٩٨٧ م. ٤- ابن كثير ، اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م) تفسير القرآن العظيم ، دمشق (دار الفكر . دت). هـ ٥- أبو حيان ، محمد بن يوسف الغرناطي- توفي سنة ٧٥٤ هـ – تفسير البحر المحيط- ط ٢- دار الفكر ،١٩٩٥

٦-أبو الرضا ، سعد ، النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة روية إسلامية ، ط ٢ ، ١٤٢٨ هـ ٧- الحجوي ، محمد بن الحسن الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، ١٩٧٧م .

١٩٧٧ ٨- الحكيم ، محمد تقي ، الأصول العامة للفقه المقارن المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، مطبعة توحيد ، قم- ايران ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤ هـ..

٩- الحميدي ، عبد العزيز بن عبد الله: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر الإسكندرية: دار الدعوة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م.

١٠- الحويزي ، عبد علي بن جمعة تفسير نور الثقلين ، بيروت- لبنان مؤسسة التاريخ العربي ، ط ١ ، د.ت

١١- الخاقاني ، محمد ، كريم ، أصولنا في حوار الحضارات ، ، مجلة المرصد الدولي ، مركز الدراسات الدولية- جامعة بغداد العدد الثالث آذار- نيسان- ٢٠٠٧.

١٢ - الخرمشاهي ، بهاء الدين ، موسوعة القرآن والدراسات القرآنية ، إيران- طهران ، مؤسسة الأصدقاء ، ١٣٧٧ ش.

١٣- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ/ ١١١١ م) ، إحياء علوم الدين ، ط ١ ، بيروت (دار الكتب العلمية ١٩٨٦ م)

١٤- القاسم ، خالد بن عبد الله ، الحوار مع أهل الكتاب ، ط ١ ، الرياض (دار مسلم- ١٤١٤هـ) .

١٥- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ/ ١٢٧٢ م) ، الجامع لاحكام القرآن ، ط ١ ، القاهرة (دار الكتاب العربي- ١٩٦٧ م).

١٦- المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار في درر الائمة الاطهار ، دار الرشيد ، بغداد- العراق ، ١٩٩٤ م. ١٧- المسدي عبد السلام الأسلوب والأسلوبية الدار العربية للكتاب ، تونس ١٣٩٧ هـ ١٨- الكتاني ، محمد بن جعفر ، ثقافة الحوار في الإسلام ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب ،.٢٠٠٧

١٩- الكوّاز ، محمد كريم ، علم الاسلوب مفاهيم وتطبيقات ، جامعة السابع من ابريل ، ليبيا ، ط:١ ، ١٤٢٦ هـ

٢٠- فضل الله ، محمد حسين ، الحوار في القرآن قواعده ، أساليبه ، معطياته ، ط ٣ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٥ م. ٢١ – محمد ، مصطفى محمد الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم ، بغداد (وزارة الأوقاف والشؤن الدينية ١٩٨٣ م)

٢٢- مغنية ، محمد جواد ، فقه الإمام الصادق دار التيار الجديد بيروت- لبنان ، ط ٥ ، ١٩٨٤

٢٣- لابوم ، جول ، تفصيل آيات القرآن الكريم ، ترجمه من الفرنسية: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، مصر (مطبعة عيسى البابي الحلبي . د.ت).

٢٤- كونستانس جيورجيو ، نظرة جديدة في سيرة رسول الله تعريب: محمد التونجي ، د. م: الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣

٢٥ – هدايات سور ، رحمن التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم في دولة واحدة ، ط ١ ، القاهرة (دارا لسلام ٢٠٠١م)

هوامش البحث

[١]أستاذ مشارك عضو هيئة التدريس والباحثين في جامعة المصطفى العالمية – كلية العلوم والمعارف – قم المقدسة

[٢] سورة الكهف ، اية ٣٧

[٣] انظر الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القران ، ج٩ ، ص٢٥٤ .

سورة الكهف اية ١١٠ [٤]

سورة الأعراف اية ١٨٨ [٥]

سورة الانعام اية ٢٥-٢٦ [٦]

سورة البقرة اية ٦-٧ [٧]

نجم ، محمد يوسف ، فن القصة ، ص٣٤٢ [٨]

المصدر نفسه ، ص٣٦٢ [٩]

سورة الانعام ، اية ١٠٩-١١١ [١٠]

سورة الانعام ، اية ١١١ [١١]

سورة البقرة ، اية ١١٨ [١٢]

سورة الانفال ، اية ٣٢ [١٣]

فضل ، عباس حسن ، القصص القراني ايحاؤه ونفحاته ، ص٤٥ [١٤]

سورة غافر اية ٥٦ [١٥]

سورة الفرقان اية ٢١ [١٦]

التهامي ، نقرة ، سيكلوجية القصة في القران ص٣٢ [١٧]

سورة الانعام ، اية ٧٥-٧٩ . [١٨]

الطبرسي ، احمد بن علي ، الاحتجاج ، ج٢ ، ص٦٩ . [١٩]

سورة البقرة ، اية ٢٦٠ [٢٠]

المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار ، ج٩ ، ص٣٠٩ [٢١]

سورة سبأ اية ٤٦ [٢٢]

الطبرسي ، فضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القران ، ج٧ ، ص٤٣-٤٤ . [٢٣]

العلي ، صالح حميد ، مقارنة الأديان ، ج٢ ، ص١١٨ . [٢٤]

سورة ال عمران اية ٦٦ [٢٥]

سورة غافر اية ٥٦ [٢٦]

سورة يونس اية ٣٩ [٢٧]

السيوطي ، عبدالرحمن بن كمال ، الدر المنثور ، ج١ ، ص٦٠٤ [٢٨]

المصدر نفسة ، ص٦٠٧ [٢٩]

ابن ابي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله ، شرح نهج البلاغة ، ص١ [٣٠]

ابن ابي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله ، شرح نهج ، ص٢ [٣١]

سورة فصلت ، اية ٣٣-٣٥ [٣٢]

سورة النحل ، اية ١٢٥ [٣٣]

سورة العنكبوت اية ٤٦ [٣٤]

المناوي ،محمد عبد الرؤوف ، الجامع الصغير ، ج٤ ، ص٤٣٢ [٣٥]

سورة سبأ ، الاية ٢٤ [٣٦]

[٣٧] المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، الجامع الصغير ، ج٤ ، ص٤٣٢ .

[٣٨] سورة القصص ، اية ٤٩

[٣٩] المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار ، ج١٠ ، ص١٣٢

[٤٠] وجدي ، محمد فريد ، صفوة العرفان في تفسير القران ، ص١١٩